جودو يهرب
ويقتل نفسه
أحمد جلال

جودو يوارب الباب ,

و يقتل نفسه.

أحمد جلال

اعتذار

إلى أبي,أمي,أخي,و أختي الصغيرة.

ربما لا يعلمون لماذا.

أنا أيضا لا أعلم.

و إلى الأصدقاء,

باعتبار ما كان,

و ما يمكن أن يكون.

ثم..

إلى اللذين أرادوا تمزيقيو اللذين يريدون.

أعتذر لأنه لم يعد هناك شيء آخر يمكن تمزيقه.

إهداء خاص

على كافكا أن يكف عن التناسخ,

و يبحث له عن جسد آخر.

لا بد أن أموت في صمت.

لا بد من نقطة دمٍ على زاوية الفم

يقول

من يجهلني

"لا شك أنه أحبَّ"

و من يعرفني

"الموت أفضل.عانى كثيرا هذا المسكين"

و لا بد أن السبب الحقيقي لا هذا و لا ذاك.

أورهان والي

الحلم يتآمر..الحلم يذنب.

أخي,يستيقظ قبل الفجر بقليل,بألم في الصدر.
يعتصر بيده اليمنى كتفه الأيسر،و اللحم أسفل ثديه.
(لو غرس أصابعه قليلا لوصل إلى القلب،و خلعه،لينتهي الألم)
أسمعه يمضغ حبتي الأسبرين,و يجرع كوب ماء.
صوت الماء و هو يدخل جوفه كئيب.
أغوص تحت الوسادة أكثر..
كي لا أسمع.

دمه الآن أكثر سيولة ليسير في شرايينه المتصلبة.

أخي..
يستيقظ في الصباح لتجرحه القطة،و ينزف حتى الموت,و هو يضحك.
تصل ضحكاته إلي في المنام حيث عدت إلى عهد الطفولة لأحلم نفس الحلم عن آخر مرة لعبنا فيها سويا.
كنت في الثامنة،و كانت اللعبة مسلية..مرحة.
لم نتشاجر في نهايتها كالعادة.

أخي يضحك بلا سبب، فاغتاظ.
في الحلم أقتله,فأنام بعمق أكبر.
ثم استيقظ لأجد القطة تلعق دمه في تلذذ.

مات أخي ،
فدفناه.
و عندما جاء المساء

ترددت في دخول الغرفة..
ليس خوفا من طيف جثته الممددة على الفراش المجاور،
بابتسامة كالجوكر.
لكن لشعور-بسيط- بالذنب.
ذلك أنه بالأمس سمعت في خلفية الحلم صوت أشرطة الأسبرين الورقية و هي تمزق..
واحدة..
واحدة..
بينما أكون منشغلا في محاولات مستمرة لدفن رأسي تحت الوسادة أكثر..
كي لا أسمع.

أرق

(1)

الجو يليق بخفاش مثلك.

السماء سوداء.ملبدة بالغيوم,و بقمر مكتمل.

مطر.

تعود من حيث كنت..المفتا ح..الباب..تدخل,و تحاول تذكر أين كنت منذ قليل لكنك تفشل كالعادة.

البيت..

دفئ,و حنين إلى شيء لا تعرفه..رغبة عميقة في احتضان حبيبتك و تقبيلها رغم أنك بلا واحدة.

المفتا ح..الباب..تخر ج..تعود إلى حيث كنت,و تحاول تذكر أين كنت قبل قليل لكنك تفشل..كالعادة:

فقط تكمل المسير.

(2)

في الشارع فتاة وحيدة تلعب(خلاويص) مع صبيان مشاغبين.

- خلاااويييص؟

- لسسسسسسسسا

يتركونها و يجرون بعيدا,بعيدا جدا إلى شارع آخر,و هي تصرخ كل دقيقة:

خلاااويييص؟

لا يردون.تسئم فتفتح عينيها.لا أحد في الشارع.تناديهم بأسمائهم. تبحث عنهم فلا تجدهم.ثم تبكي.شيء ما في المشهد يدق ناقوسا في عقلك,و تشعر بأنك تعرضت لموقف مشابه من قبل.تتعاطف معها فتقترب.تربت على رأسها.تحتضنها.ترفعها على كتفك.

-ساكنة فين؟

-عند عم عبده بتاع اللبن.

إنه قريب جدا,و هي ليست بهذا الصغر حتى تصبح العودة إلى البيت شيئا مستعصيا.

فليكن..

(3)

بائع اللبن يرفع يده بالتحية فيردها..

(هوا عايش النهاردة؟)

يقولها لنفسه..

الرجل مات كثيرا,و في كل مرة كان يحضر جنازته المليئة بأهل الشارع الطيبين و اللذين يدعون ذلك قبل أن يمر عليه بالصباح ليأخذ حاجته من اللبن.و رغم تراب القبر الذي التصق بجسده و الكفن الذي يطبقه بعناية و يضعه في الكرسي البلاستيكي المجاور حتى يستخدم في الميتة القادمة و جلده المتيبس..رغم كل ذلك فإن رائحة جثة عم عبده لم تكن نتنة أبدا.

- هنا..في الدور الآخراني.

تقولها بروتينية,و كأن هذا يحدث كل يوم.تصعد بها و تدق الجرس.ينفتح الباب عن وجوه بدت مألوفة إلى حد ما:

رجل أربعيني.امرأة أربعينية.و رأس شاب تبرز من بين الكتفين المتلاصقين.ينظرون ببرود جعلت تماثيل متحف الشمع تبدو أكثر قدرة على افتعال الحياة.تترجل الفتاة من كتفك بمحض إرادتها الشخصية و تحشر نفسها بين أقدامهم.وجهها يكتسب-تدريجيا-نفس الجمود الشمعي.تشعر بالحرج.ترتبك زاوية شفتيك لتنذر بابتسامة حمقاء موشكة الحدوث.

تهرب دون النطق بحرف, وحتى السلمة الأخيرة بالأسفل لم تسمع صوت الباب و هو يغلق.يبدو أنهم مازالوا واقفين يحدقون في اللاشيء أمامهم..كما كانوا يفعلون منذ قليل.

عم عبده..الشارع..المفتاح..الباب..كالعادة.
لكنه رغم كل شيء يشعر بالسعادة.صديقنا الذي ينسى كل شيء يشعر الآن بالسعادة.لأنه تذكر ماذا كان يفعل منذ قليل.ألم يكن يوصل صبيا تائها إلى أهله المتلهفين عليه؟.
بالإضافة إلى أنه وصل إلى البيت بسرعة دون أن يتوه كثيرا في الشوارع الأخرى البعيدة.

(4)

قالت أمي:
-هوا انت كل ما توصل أختك تجري كده؟
أقول:
-هناك خطأ ما..
قبل النوم أشغل أغنية إديت بياف و أحاول فهمها فأفشل.في الحقيقة أنسى قبل أن أفشل.
أحاول تذكر الإجابة على السؤال لكنني أيضا أنسى:
من أنا؟
من أنا؟

المدينة ترتكب الخطايا

نحن نصدق الهلاوس لأنها حقيقية.أنا كنت الشاهد الوحيد على ما حدث.و لقد رأيته بأم عيني.

الرجل كان يمشي بظله الذي يتبعه على الحائط بصورة مستفزة

فجأة استدار ليواجه ظله و يختلف الوضع..إنه يحدثه..يصرخ..يعترض..ثم يضرب ظله بغل.

"أنت جعلتني أخسر كل شيء"

و كان الظل يحاول الرد أو الإدانة لكنه لم يستطع.

اختبأت وراء عمود الإنارة لأراقب من بعيد

رحماك من غضب الظلال..

اختلست النظر إليهما مرة أخرى.يتشاجران بحق.كل منهما يمسك بالآخر و يتبادلان الضربات.

الظل يخرج من جيبه مقصا و يقص نفسه من الآخر..

إنه ينفصل.

يبصق على صاحبه,ويتركه..

هذا الظل طيب.أعرف ظلالا أخرى تركت أصحابها دون أن تنبس ببنت شفة.تستيقظ فتجد ظلك قد غادرك..دون حتى كلمة على المرآة بأحمر شفاه قديم..دون سبة بذيئة,لكنها لم تكن لتدعني أبكي كل يوم بالليل.كما يفعل هذا الرجل الآن.

إنه رجل المدينة الوحيد الذي كان يملك واحدا.

هذا الرجل الوحيد قد فقد - للأبد- ظله..

و كنت أشعر بالتشفي.

خروج

كهنة معبد ديلوس كانوا يودعون السفينة المقدسة في طريقها للرحيل قبل أن يرفعوا أيديهم للسماء و يدعون آلهة الأوليمب أن تصل إلى أثينا سريعا حتى ينتهي الشهر الحرام.

ينتهي الشهر الحرام,و يصبح من حقكم أن تقتلوا السجناء,و يصبح من حقكم أن تقيموا حفلات المجون و تريقون النبيذ بين أفخاذ العذارى احتفالا.

فالليلة ستقتلون فيلسوفا لأول مرة.

(للمرة الأولى شبقها الخاص)

دع الحكام-إذن- يثملون بالخمر,و الجنس,و فرحة الانتصار..

لن يعبث أحد بعقول فتيان أثينا بعد اليوم.

***

السفينة تقترب.الرجل العجوز يشعر بالنعاس فيغفو قليلا,و تزوره في الحلم فاتنة إغريقية بيضاء كالجنة.

كانت تصيح: ستذهب إلى أخراك بعد ثلاثة أيام.

تصيح..

يستيقظ و ينظر حوله ليتأكد من مكانه..مازال هنا..الجدران و الظلام و الرطوبة و الحارس السمين.

مازال حيا.

اجلس قليلا أيها العجوز, و لتستعد.

فقد كان لا بد أن يخرج على أي حال

كان لابد,بعد تلك السنين الآزفة,أن يخرج الطفل الصغير بداخلك و يصرخ مؤنبا..

كان لا بد أن تنزعج..

كان لابد أن تبدي اعتراضك في صورة عملية

كان لا بد أن تدفنه.
افعلها بسرعة,كي لا يلاحظ الحارس حركاتك المريبة خلف ظهره البعيد.
بعد دقائق يتحول الصراخ إلى صوت مكتوم لا يكاد يظهر تحت الأرض.
تضرب القبر بقدميك عنيفا حتى يصمت للأبد.

.....

.....

.....

ما أجمل الهدوء!.

***

عندما استيقظ مرة أخرى,بعد غفوة هادئة بلا أحلام,وجد تلميذه الشاب أمامه.
يتلفت حوله كبومة,و ينظر إلى أستاذه.
من الواضح أنها نظرات اندهاش,و توصيف الموقف:محاولة هروب.
الحراس راضون بما أخذوه من مال تعب تلامذته في تجميعه من بينهم,و الجزيرة الكريتية تنتظر لاجئها الفلسفي.
كل شيء مرتب,كما أن الأثينيين لن يطلبوا رأسه إذا هرب.
المهم أنه بعيد عن هنا.
و الحقيقة أن نظرة (لا فائدة) التي كانت تنبعث من عين العجوز زادت من انطفاء عينيه.
مازال تلاميذه صغارا,و ربما لم يستوعبوا الدرس بأكمله,أو هي انفعالات الشباب.
فلتتصرف إذن كما يفعل المحطمون,و أهل المنطق.

"لقد أدرت ظهري لهذا العالم الدنيء"

دقيقة زائدة معهم لن تفيدهم بشيء,و عمر ينتهي هنا لن يجعلك تخسر شيئا.

بل من المحتمل أنه مفيد أيضا.

على الأقل لن تصاب بالربو من مياه زوجتك الباردة على رأسك و صدرك,و كأنها كانت تريدك أن تفيق.

تصرفت كشيخ مؤدب,و قبلت صفقة حكامك على فنائك الذاتي.

لأن الأمور في الغالب يجب أن تسير على هذا النحو.

ساعات قليلة و ترسو السفينة لتبدأ المقصلة في إخراج لسانها اللاهث خلف الدم.

سيدخل الحراس عليك بجيوبهم المكتنزة و سعادتهم بالمال ناسين أحبال المشنقة الصغيرة,أو قطرات السم القاتل,أو أي شيء آخر.

عموما,لم يكن الأثينيون يجلون الموت خارج الحروب.

ساعات قليلة و تأتي السفينة و عندما تأتي يكون موتك قريبا كدموع تلاميذك السذج.و يكون الإمبراطور مشغولا بارتشاف النبيذ بيد.بينما يداعب بالأخرى حلمة نافرة.

فلتمت يا رجل.

ليهنأ الحكام,

و ليذهب الرب إلى الجحيم.

حلم معقد

(1)

قال لموظف الاستقبال:

"أنا غير موجود"

عندما جاءت ذهبت إلى غرفته مباشرة.

قالت:أرجوك.

قالت:سامحني.

قالت:أنت حساس زيادة عن اللازم.

قال:تلك الأشياء معقدة..أنت لا تفهمين.

***

"هل هناك من يفتقدني الآن؟"

يأتي السؤال على طبق من فضة.برشة ملح زائد,و يطالب بالإجابة في وقت لا تكون فيه منشغلا إلا ببرانويا الشعور بأن الموت قد يضبطك في أي لحظة متلبسا بالحياة ليسلبها منك كأي صاحب حق..

كأي خائن.

إنه شعورك و أنت ترشف كوب الكاكاو,و تدخن سيجارة,و تستمع إلى أغنية حزينة..

تتحدث عن الموت.

"هل هناك من يفتقدني؟"

بينما تبدو الإجابة غائمة و تشبه مذاق السائل البني..بلا طعم.

***

في المقهى..تمتنع عن التدخين,و عن مراقبة الناس من خلف الحائط الزجاجي لتعرف ما لا يعرفوه عن أنفسهم.تمتنع عن التنصت لحديث هامس بين فتاة نحيلة و شاب سمج,و عن ارتشاف القهوة.

تحاول أن تحاكي ذاتك لتكتب.فتظل الورقة بيضاء.
تصرخ الفتاة النحيلة في هلعو تجري ليقع كوب العصير..يكمل الفتى ارتشاف عصيره,و تأتي النادلة لتمسح الأرض,ومازلت مشلولا من فجائية اللحظة..
تعود إلى مكانها و تحتضن الطاولة البلاستيكية خلف ساعديها.
وجهها الحزين يجعلك تفكر في كتابة قصة عن نادلة حزينة في مقهى المدينة الوحيد لا تجد من تحبه..لا بأس بالفكرة.
تحاول أن تحاكي ذاتك لتكتب..لا فائدة.
ادفع حسابَك و اخرج
***

ضوضاء الشارع تأخذك من نفسكلذلك تحبها.اترك نفسك للتيار يأخذك إلى حيث يريد..إلى اللامكان..إلى الجحيم..إلى مقلب القمامة..أي مكان بعيدا عن الجلوس مع نفسك كثيرا لأن تلك الأشياء تؤدي للجنون.
تخف زحمة التيار فتكون واقفا أمام محل (لانجيري) حيث تضحك ثلاث فتيات على بدلة الرقص التي يلبسها العامل للمانيكان المثير,ويتأكد من وضع علامة: للعرض فقط.
يصمتن عندما تأتي سيدة منقبة و زوجها.تعبر المنقبة إلى الداخل و تترك لحيتها بالخارج.

***

عندما تخرج تمد النادلة يدها إلى جيب البنطلون الخلفي.تمسك بمفكرتها الصغيرة,و تدون:
اليوم 5734..
لم يأت أيضا.
***

تخرج المنقبة.تبتسم للحيتها..ثم يتكاثف التيار حولك مرة أخرى.تترك نفسك لفترة أطول هذه المرة.و عندما يخف التيار تكون أمام الفندق.

***

تتقلب في فراشك بقلق,و تريد أن تستيقظ.

***

قالت لموظف الاستقبال:

"أنا غير موجودة"

عندما جاء اتجه إلى غرفتها مباشرة.

لم يجرؤ على دفع الباب.

أخرج ورقة صغيرة

كتب:

"صدقيني..تلك الأشياء معقدة..فكري مرة أخرى"

دفعها من تحت الباب,و استقرت على قطعة الموكيت الملوثة ببقعة دماء أنثوية,و لم يكن يعلم.

(2)

(نور الشريف) يعتصر كتفي (معالي زايد) في الفيلم الذي لا أذكر اسمه و تقول حركة شفتيه:"ده أنا اقتله و اشرب من دمه"

أمي تقزقز اللب.أختي تقزقز اللب.أخي يضحك على المشهد الدرامي بجنون.و أنا أفكر في المصير.

***

البارمان العجوز:

هو رجل يصادق الشياطين حتى أنه يصبح-مع الوقت-طيبا جدا..هو الذي يصب الويسكي الرخيص لعاشق خائب,و يلمح عاشقين آخرين في آخر الركن المظلم بعين مليئة بالنوستالجيا.

في الفيلم الآخر يقرر البارمان العجوز أن يظل عجوزا لكن ألا يصير بارمان.يدفعه البطل للخارج بقسوة,و يكون أسلوب الـ (سلو موشن) مؤذنا باقتراب النهاية حيث تتقاطع المصائر.

فأبتعد.

***

أبي يقشر حبة الفول السوداني بيد و بالأخرى يأتي بقناة الجزيرة ليشاهد برنامج هيكل.يظل الصوت مغلقا..

و أخي مازال يضحك.

***

عندما دخلنا هذه المرة لم يكن البارمان العجوز موجودا في مكانه..بل وقف شاب يبدو عديم الخبرة بأشباح المكان.دعك من أن وجهه يذكرني بشخص أراه دائما في أحلامي يلعب البوكر,و يخسر حبيبته في الرهان.

لهذا سحبت يدها و خرجنا..لا نبيذ بعد اليوم هنا.

***

ميدان الإسكندرية عندما ينتهي شارع مصطفى النحاس جوار محطة القطارلا يشبه الإسكندرية إطلاقا..

إنه صغير جدا..مكدس بأرواح مزهقة,و نباتات مقتولة.القليل من البشر,و عجوز تجلس على الرصيف و تبكي.

أنا أبكي بجوارها.و عندما أسأم أقوم لأنحرف يمينا..سجن على رصيف,و على الرصيف الآخر عشش من الكرتون و الصفيح و البلاستيك.

في المنتصف أقف..

أبحث عن سجني الخاص,و أبحث عن سيارة تخطفني إلى العالم الآخر بقليل من الألم..لكنها جميعا تتفاداني ببراعة.و تطلق الشتائم بعد رحيلها.

(لماذا لا يموت من يريدون الموت بينما يحدث العكس دائما؟)

قبل أن أفكر في إجابة كانت الصدمة قد اقتلعتني من الشارع

و أشعر بالراحة.

***

هنا ينتهي الحلم,ثم تتململ على فراشك..تحاول أن تستيقظ فلا تستطيع..هناك من ربط جفونك بأثقال فولاذية.

حاول..حاول..حاول..

(تحاول أن تحاكي ذاتك لتكتب..لا فائدة.)

ثم تسمع من يهمس في أذنك ببطء:

"أهلا بك..

في قبرك."

الأبله

تعالي-فتاة الحقل-إلي بعد قليل.
لا تنسي أن تعبري الساقية المهجورةو البيت المسكون على الطريق العام,و القناية الصغيرة بين الحقلين الواسعين,حيث تزأر صراصير المساء..
تعالي إلي..
ثم اتركيني قليلا..
ودِّعيني بقبلة خجولة,و نظرة اشتياق..
لأنني سأموت اليوم.
***
اذهبي-فتاة الحقل-إلى بيتك الصغير.
أغلقي باب الغرفة بالطابق الخامس,و اقتربي من النافذة.
احضري حبلا غليظا..ثبتيه جيدا ثم ألقيه من الشباك الواسع,و تأكدي أنه قد وصل إلى الأرض,كي أصعد إليكِ ببنطالي الأسود,و قميصي الأسود,و رباط عنقي اللامع..الأسود أيضا.
لا تخافي..سأحضر معي ما تريدينه:
فيلمنا المفضل الذي تموت بطلته في النهاية لأنها لم تستطع أن تنقذ حبيبها من نفسها,و أغنيتنا المفضلة عن حبيب منحوس..ما زال يعجز عن فتح مقبرة حبيبته.
لا تخافي لأنني سأكون أكثر رقة في الفراش هذه المرة.بعد حبة الليثيوم الصغيرة.
لا تنسي أن ترتدي قميص النوم القطني الأزرق الخفيف.المفضل لدي.لا تنسي أن ترفعي صوت المسجل قليلا..كي لا يسمع أحد آهاتك الهامسة غير المكتملة..كحياتنا.
لا تنسي أن تتصلي بأصدقائي و تخبريهم ألا ينتظرونني في مقهى (إكسلانس) المفضل لدينا.لأنني لا أملك رصيدا,و لأنني مشغول..
فأنا سأموت اليوم.

و اتركيني قليلا ريثما أستمع إلى داليدا,و أنتهي من موتزارت للأبد.

***

اقتربي-فتاة الحقل-مني أكثر..

أخرجي رأسك من النافذة و أنت ترينني أقترب.

ابتسمي في حنان.

فتاة الحقل..

حبيبتي!.

لماذا ترتدين قميصا أحمر من الدانتيل؟.

هل وجدت عشيقا جديدا؟.

لماذا تتحرك ذراعك اليسرى بشغف كلما اقتربت.

هل تمزقين الحبل؟

كيف لم أنتبه أن نظرتك الأخيرة كانت نظرةً خائنة؟

مزقيه-فتاة الحقل-و اتركيني قليلا..

راقبي ما يحدث بالتصوير البطيء حتى يصبح المشهد أكثر إثارة.

ضاجعي صديقي بالداخل..

ثم اشهقي,و اصرخي بأعلى صوتك.

دعي أهل القرية يركضون نحوي,و ينهالون ركلا ليمزقوا ما تبقى من السقطة القاتلة..

اتركيني قليلا..

أصرخ بآهات هامسة.غير مكتملة..

لأنني قد مت اليوم قبل أن أخبرك..

لماذا قتلتك البارحة؟.

أشباح المدينة

لأنني لا أدخن في البيت,و لأنه ليس معي الكثير من المال كالعادة هبطت لأشتري علبة سجائر كليوباترا من السوبر ماركت في نهاية الشارع.مازحت الرجل هناك قليلا ثم أخذت علبتي الهشة معي.

قرب الفجر,كانت المدينة تبدو كقبر.و الميدان الصغير خال إلا من أحزانه الصغيرة التي تظهر بوضوح على لافتاته الدعائية الباهتة.

عبرت الميدان إلى أحد نواصيه حيث يرقد المسجد الكبير..في هذا الليل يبدو المسجد هو أكبر البنايات هنا,و كنت أستند إلى سيارة بجواره بينما كان دكان عم سيد مازال مفتوحا يلقي لرجل حاجته من الطعام.

و جوار المحل جلست سيدة عجوز على كرسي من البلاستيك في هدوء تلك العجوز أعرفها جيدا..

رغم أن زياراتي للمدينة قلت في الفترة الأخيرة لكنني أعلم أنها تخرج كرسيها من بعد المغرب و تظل جالسة عليه حتى الفجر نفس الجلسة بلا حراك تقريبا.

بنفس الفستان القديم موديل الثمانينات و نفس البونيه الأسود.حتى بشرتها السوداء المتغضنة و عينيها الجاحظتين ظلتا كما هما.أحيانا أرى معها رجلا مسنا يشبهها يجلس جوارها و يبدو في صمته طيبا,بينما توزع هي نظراتها المريبة على الجميع.

نموذج السيدة المتسلطة و الرجل المغلوب على أمره الذي أراه كثيرا في المسلسلات التافهة..رغم أنني لا أملك تلفازا.

أدخن سيجارة في قرف, و تنظر لي العجوز في شيء من الشماتة.

أما هي..

هي كانت تشبه المدينة في لحظات التجلي.

كانت تشبه سوناتا ضوء القمر,أو معزوفة الكمان في فيلم (لائحة شايندلر).

جميلة بقدر ما هي مرعبة,و تذكرك بالوحدة.

يتحلق حولها أربعة أو خمسة فتيان يطلبون جزءا من جسدها لتنتهي سهرتهم بشيء من الرضا.

تصرخ استنجادا برجل غير موجودعم سيد يتظاهر بتحضير طبق فول و يعلم أن الاقتراب يعني طعنة مطواة صدأة ترديه قتيلا.أما العجوز فمازالت توزع نظراتها,و كأن كل شيء طبيعي,ثم ترفع يديها و تصلي على الكرسي صلاة غريبة,بدت في غير موضعها.

أنا أيضا لم أفعل شيئا أكثر من أن اعتدلت في وقفتي و راقبت الأمر من بعيد.و يبدو أنهم انتبهوا إلى الحركة فنظروا إلي في تساؤل.

بدو مشتتي الذهن للحظة,ثم اختفوا..

ذابوا فجأة.

هم أيضا يتلاشون في لحظات مثيرة أترقب فيها حدوث شيء ما.

ألقيت ما تبقى من السيجارة و توجهت إليها.

لماذا تسير فتاة جميلة وحيدة في مدينة كهذه قرب الفجر إلا إذا كانت فتاة ضلت طريقها..

أو عاهرة.

و في الحالتين تكون الفتيات أكثر إثارة من غيرهن.

" أية مساعدة يا آنسة؟"

***

أولئك القذرون حولي اختفوا فجأةذلك الآخر يقترب مني.العجوز بجواري تصلي بآيات غريبة.كأنها صلاة وثنية,و المدينة هادئة حتى أن صوت النار التي تقلى عليها أقراص الطعمية تصل إلى أذني كالرعد.

رباه..

لماذا أنا هنا؟!.

أو بالأحرى,كيف أتيت إلى هذه المدينة؟.

"....مساعدة؟..

يا آنسة..هل تريدين مساعدة؟"

انتبهت إليه.رغم أنني كنت أتابعه طوال الوقت و هو يقترب لم أسمعه يلقي سؤاله.

تبا..

- أين أنا؟.

صدمه السؤال,بهت بغتة و حملق في.

- أنتِ هنا.

نظرت إليه في غباء.

أكمل حملقته ثم قال:

- اسمك؟

- سلوى..احتاج إلى أن أبيت في مكان ما.

- أ..أظن أنني أعرف فندقا قريبا.

لا يعلم أين هو و يظن أنه يعرف فندقا قريبا..يبدو الأمر سخيفا.لكن لا خيار آخر.

***

لا أنكر أن سؤالها كان مفاجئا.أنا أعرف المدينة و أعرف أنها الآن في أسوء حالاتها و لا أعرف أي فندق قريب من هنا.

صدمني سؤالها لأنني لا أعرف إن كان لأي مكان هنا اسم محدد

ها أنا أذهب إلى بائع السوبر ماركت لأسأله عن فندق و هي تسير جواري في حذر و تنظر حولها كل ثانية بفضول فتاة خائفة بينما بدت العجوز التي تبتعد

صورتها عن ظهورنا كل خطوة ضعيفةتعيسة جدا,و لا تجد أحدا لتوزع نظراتها عليه.

***

قال الرجل:

"لا يوجد غيرنا هنا..ادخل أي بيت يعجبك"

ثم توقف عن عد رزمة النقود بين يديه و نظر إلينا في عتاب.

"ظننتكم تعلمون."

هو كان مصعوقا مثلي تماما.فكرت أن أوقفه هنا و ألا أجعله يصعد معي لكني تراجعت لأن كلانا يواجه نفس الموقف تقريبا.

أول ما يلفت الانتباه أن الشقق بالأعلى متشابهة جدا..نفس التصميم و المساحة و نفس الأثاث البسيط,وحتى الكتابات على الحائط تحمل نفس المعاني:

"تسقط الحكومة..أريد 5 دولارات..فليحيى اللازوكسيد..الحملة القومية لتوزيع اللازو مجانا..إنه آخر يوم لنا هنا..

فلتذهب الحكمة إلى الجحيم,و ليحيى الموت"

تلك الكلمة أكثر كآبة,و تحرك شيئا ما بداخلي.

اللعنة

تلك الكلمة

أنا كتبتها هنا منذ..

تبا.

***

كانت قريبة فابتعدت عني فجأة و التصقت بالحائط.

إنها هي: شعرها الأسمر القصير.عينيها المتسائلتين دائما.و طريقة التصاقها بالحائط..تذكرني بها.

ابتعدتٌ خطوتين, و لم يستطع أحد أن يكسر قداسة الصمت بيننا في موقف كهذا.

رباه,كم كانت جميلة و هي تقترب مني في قلق.كم كانت رائعة و صغيرة و هشة و ضعيفة و ناعمة الشعر,و هي تكاد تبكي على صدري.

- ما الذي يحدث بالضبط؟

- .....

أربت على كتفها لتهدئ و يكف صدرها عن العلو و الهبوط المرعبين.

هدأت بعد دقائق,فرجعت إلى الوراء قليلا.استندت إلى الحائط ثم جلست على الأرض.

جلَست القرفصاء,و شردت بعيدا.

هنا كانت تشبه مقطوعة (تاتيانا) من فيلم (وعود شرقية).

و كنت أشبه عازف الكمان.

رفعت رأسهاو قالت أنه في الخارج كانت الأمور أكثر وضوحا على الأقل من هنا.أضافت بأنها تكره المدينة و هي هكذا:مظلمة و كئيبة و بلا حركة..

كالخرابة.

ثم صمتت.

قلت أنني اعتدتها فلم تعد سيئة إلى هذا الحد,حتى قديما..

أتذكرين؟

كنت أحبها هادئة و ليلية.

أخبرتها أنه كثيرا ما أشعر بأن المدينة قد تقوم كلها فجأة-بأهلها المهاجرين و صمتها و ظلامها- لتأكلني.

و أنني أحيانا أشعر بشيء من القوطية في هذه اللحظة,و أنني ربما لهذا أحببت شيئا فيها.

كانت مشاعري متضاربة.غامضة غريبة,و في مثل هذه اللحظات أحاول أن أكون هادئا و بطيئا قدر المستطاع.
لكنها نظرت إلي و كأنني كاذب.
***
حبة واحدة فقط تكفي لتدخل من البوابة الذهبية و تشعر بالسعادة.أنت سعيد وأنت تمارس الجنس,و أنت تُغتصب,و أنت تَأكل.حتى و أنت تخرج فضلاتك تشعر بالسعادة.إن اللازوكس ليس عقار هلوسة بأي معنى من المعاني.و لا أحد يعلم بالضبط على أي مستقبلات دماغية يعمل ليعطيك هذا الشعور الروحاني الصرف الذي يجعلك تؤمن بأن الرب ذاته أنزل اللازوكس خصيصا من السماء.
و الرب يبيع الحبة بخمس دولارات.
نحن ضحايا النشوة الإلهية,و ضحايا مخدر تحت التجريب يريدون التأكد من تأثيره.
متبرعون ندفع ثمن الدواء.
(الحرية)..تلك هي الكلمة المفتاح في الأمر,و للحرية ثمن هي هنا الموت.
يتحول كل شيء إلى عملية انتحار منظمة يسبقها قدر كبير من السعادة و الجنون.
لأنك في كلا الأحوال ستموت.توقف عن تعاطي الحبوب و ستصاب بالجنون.
اللاوزكس يغير كيميائية المخ بالكامل و التوقف المفاجئ سيحدث فجوة في عملية التغيير تلك ..يسمونها:(متلازمة الجنون المرتبطة باللازوكس Lazux psychosis syndrome)..هناك من يظل يضرب رأسه في الحائط حتى يتحول إلى عجين,و هناك من تغزل قطعة صوف إلى ما لا نهاية.
أما إذا كنت حريصا على نفسك إلى هذه الدرجة و تملك من المال ما يجعلك تستمر في سباق الموت عدة شهور أخرى فإن مخك لن يتحمل تغيراته الكيميائية المستمرة و سينهار بصورة كاملة.ستتوقف عضلاتك كلها عن العمل و تموت

فجأة,أو تقع في غيبوبة عميقة بلا أمل في الاستيقاظ لتصبح مجرد كومة عظام ينبغي التخلص منها حتى تتوافر المزيد من الأسرة الشاغرة.و قد يقطع الأطباء أنابيب الأكسجين عنك في أي لحظة كخدمة حقيقية للإنسانية..غيرك يحتاجون هذه الأجهزة أيها المدمن الحقير.و عليه بعد ذلك أن يكتب أي شيء في تقريره ليسير الأمر بطريقة: " أنا أعلم , وأنتم تعلمون..لكن لا أحد يتحدث في الأمر"

***

أشعلتُ سيجارة ثانية,و عندما لمحَتها معي قالت:

- مازلت تدخن تلك السيجارة!.

ثم فتحت الحقيبة و أخرجت علبة سجائرها الأمريكية و ألقتها إلي مع القداحة.أشعلت واحدة و أعدت العلبة إليها فأخذت واحدة و نفثَت دخانها عميقا.

خرجتُ إلى الشرفة قليلا,و هناك لمحت بائع السوبر ماركت و هو يعبر الميدان و يختفي قبل أن يكمل طريقه.

أصبح المشهد معتادا.و قد يحدث لنا في أي لحظة.

نظرت قليلا إلى السماء..و هي صافية تبدو أكثر زيفا.

سمعت صوت حركتها و هي تغير موضعها.

هل تمد قدمها أمامها أم تحتضن ركبتيها..هل تنظر إلي ما أمامها أم إلى الأرض؟.

قالت:

- ماذا لو اختفت السماء..

أقصد..ماذا لو خبت السماء حتى أصبحت شفافة جدا..ساعتها..هل نستطيع أن نرى الله؟.

هذا يعني أنها تجلس محتضنة ركبتيها,و تنظر إلى الأرض.

فكرت قليلا.ثم وجدت أن السؤال لا علاقة له بوضعنا الحالي.

استدرت قائلا :

- لا أظن أن هناك حلا في هذا.

غمغمت في شرود:

- نحن نبحث عن حل إذن.

ثم صمتنا.

- لم تخبرني باسمك..حتى قبل كل شيء لم أكن أعرفه.

حاولت أن أبحث عن اسم مناسب,فلم أجد.

- يبدو أنهم نسوا أن يطلقوا علي واحدا.

ابتسمتُ ابتسامة بطيئة..تلاشت ببطيء أيضا مع نفثات الدخان حولها.

ثم صمتنا.

- أتذكر كيف كنا قديما,و كيف كانت المدينة.

- للأسف.

- فعلا.

بدت غارقة في التفكير,ثم أخذت ترسم بأصابعها أشياء في الهواء..يبدو أنها تضع خطة ما.

و يبدو أن خطتها جاءت سليمة تماما إلى حد أنها انتفضت في مكانها و صرخت:

- وجدتها!.

- وجدت ماذا بالضبط ؟

- الحل!.

- فعلا,و ماهـ..

لم تنتظر.كانت فرحتها طفولية جدا و غامرة.هرعَت إلى المطبخ المجاور و غابت قليلا.

ثم خرجت بسكين..

قالت بسعادة خبيثة:

- تقتلني,و عندما أموت,يموت آخري..و هكذا أظل محبوسة هنا للأبد..ثم أفعل نفس الشيء معك.

قلت في حذر:

- هل أنت بلهاء..لا يوجد ضمان لشيء كهذا..بل في الغالب لن يحدث شيء..ارمي ذلك السكين من يدك و فكري في شيء آخر.

عندما يأتي إليك طفل بفكرة جديدة و هو ينتظر منك استحسانا ثم تعنفه فيصفر وجهه و يحمر و يصرخ و يضرب من حوله.

هكذا كانت تعبيرات وجهها.

قالت و قد بدأ صوتها يعلو:

- أخبرني بحل آخر.
- لا أعلم..لكن هذا ليس حلا بالتأكيد..إنه جنون.
- إذا لم تقتلني سأفعلها أنا.

أخذت بضعة أنفاس عميقة من الهواء حولها و كأنها تستعد.ثم مدت يدها بالسكين.

- هيا.

كنت أقترب بحذر..فكرت أن آخذه منها و أطوقها ثم أحاول تهدئتها قليلا من تلك الحالة الهستيرية.

لكنها كانت تعلم.

- أنت لن تقتلني..هه؟..تريد أن نظل على ما نحن عليه بلا خلاص..مرة و أخرى و أخرى نفعل ذات الشيء إلى ما لا نهاية..آسفة..لقد سئمت..فلتقتلني.

و بدأت في الاقتراب هذه المرة أكثر و هي تصرخ

- اقتلني أيها الوغد..اقتلني.

كانت تبكي..أعينها حمراء و ملتهبة..وجهها ممتلئ بالدموع,و كنت اقترب..

لكنها كانت تعلم.

- لن تفعلها..كنت أعرف.

و في اللحظة التي كدت أن أقفز فيها كانت قد أغمدت السكين في بطنها.

السكين الحاد يغرز في أحشائها و أنا أشهق مذعورا.

هي تصرخ بعنف.

بكل القسوة تصرخ.

بكل سنوات عمرها الكئيبة.بكل صخبها و عجزها و رغبتها في الموت..تصرخ.

تترك حياتها تنساب بمرونة عبر مقبض السكين أحمرا و تعيسا.و تتركني أبكي دون أن أدري ما الذي يجب فعله بالضبط.

سقطَت على الأرض بعد الطعنة الرابعة..

كم كنت قاسية لتتركيني هكذا وحيدا..

بلا رفيق,و لا سجائر أمريكية,و لا اسم مناسب.

كم كنت صامتة و متحجرة بين يدي.

ما الذي ترينه الآن يا سلوى حتى تتسع عيناك إلى هذا الحد المريع و هي تجول في المكان الملطخ بحياتك المهدرة.

لماذا توقفتا عن الحركة فجأة في اللحظة التي ضممتك فيها أكثر و أكثر,و أترك السكين يغرز فيك أكثر و أكثر؟.

لماذا تذوبين..تختفين فجأة؟.

صوت السكين و هو يرتطم بالأرض يجعلني أدرك أنك لن تعودي موجودة بعد الآن..

الآن جاء دوري للصراخ

***

في العنبر رقم (6) لم ينتبه الطبيب المناوب إلى بعض الاختلافات التي حدثت للمريضين في آخر الرواق..ربما لأنه كان مشغولا بفحص الحالات الأولى.في السريرين المجاورين كانت هناك تغيرات بسيطة تظهر على لوحة العلاج..يرتفع معدل نبضات القلب قليلا..يرتفع ضغط الدم إلى حد ما..تنقبض عضلات الوجه بصورة طفيفة جدا..ثم يعود كل شيء إلى وضعه الطبيعي بعد ثوان,و عندما يصل الطبيب يكون كل شيء قد عاد إلى حالته الطبيعية..يكمل فحصه الروتيني.ثم يخرج بهدوء و هو يغلق الباب بضجر.

***

لأنني لا أدخن في البيت,و لأنه ليس معي الكثير من المال هبطت لأشتري علبة سجائر كليوباترا.

كنت أدخن سيجارة في قرف, و تنظر لي العجوز في شماتة و هي تشعل سيجارة الميريت في ارتياح.

لماذا تسير فتاة جميلة وحيدة في مدينة كهذه قرب الفجر إلا إذا كانت فتاة ضلت طريقها..

أو عاهرة.

و في الحالتين تكون الفتيات أكثر إثارة من غيرهن.

" أية مساعدة..يا آنسة؟"

Mosaic

(ما هي,و مم تتكون,و لماذا تركتني أسقط وحدي)

غثيان

جودو يوارب الباب,قلقا,

و يقتل نفسه..

هو يعرف أنه غير قابل للإيحاء.

لكن عندما جاء ذلك الرجل الغامض,كفيلم قوطي,و قال:

" أنا أعرف كل شيء"

أصابه الجنون.

و كانت موسيقى كلينت مانسل جميلة إلى حد يمنعه من الاعتراض.

نظر إليه الرجل,أعطاه قطعة أمل صغيرة,

ثم ذهب.

في الطريق تحسس جيبه ليكتشف أن القطعة ليست هناك.

ربما سقطت في نقاب امرأة مفتعلة,أو اختفت داخل فم مثقف ليبرالي,يجلس في مقهى ريش,و يتحدث عن الحرية الجنسية.

لكن الاحتمال الأكثر واقعية أنها سرقت منه بينما كان واقفا في زحمة المترووو لا بد أن الصبي الذي سرقها-بخفة- من جيبه المفضوح قد باعها إلي محل الهدايا و التحف,بخمسة جنيهات.

لم يجرؤ على الاقتراب أكثر.

جودو يبدو قلقا,

و يقتل نفسه..

رباه..

يالها من قصة مكررة

تثير الغثيان

من كثرة التوحد.

مازوخية

أهرب من الوطن,إلى المقهى..
أكتب كثيرا عن المقاهي لأنني أجلس فيها كثيرا
هناك بالذات أتقن احتقار قناة روتانا طرب.
أضع السماعات على أذني, و أستمع إلى صوت (ديف ماستين) المرهق المشروخ من أثر الكوكايين, و أعباء كونك من تكون..
يتحدث عن حقه الشرعي في أن يكون مجنونا.
"كيف أستطيع أن أواجه الغد,إن كنت غير قادر على عبور يومي بسلام"

في هذا العالم الغريب,أدين إليها بلمحة تفاؤل..
تلك التي دخلت,و خرجت,خفيفة كالحلم,و كأوتار جيتارها..
جلست في الطاولة المجاورة,و أخرجته من تابوته الأسود الضيق.
كانت تعزف بحساسية شديدة,تمسك الأوتار برهافة,و كأنها تخاف عليه من أن يشرخ فجأة,و يصدر صوتا ما.

لو كنت بطلا في رواية فانتازيا جيدةتتحدث عن السحر و التنانين و القدرة على التغيير,كانت أمور كثيرة لتحدث.
أنا-حقا-لا أريد أن أموت,و قد يكون هذا عجيبا.أريد فقط أن أتلاشى,و أتحول إلى موسيقى.
مجرد ذبذبات هواء.
سأكون حينها مقنعا جدا بصورة تتجاوز وجودي المادي البطيءالغبي,المليء بشهوة البقاء.
لكنني أتنازل دائما عن ذكر أمر كهذا أمام الأصدقاء كي لا يتهمني أحدهم-كالعادة-أنني غريب الأطوار,أو زنديق.

بالإضافة إلى اكتشافي الأخير أنني معقد إلى درجة كبيرة تجعل الموسيقى التي سأتحول إليها صاخبة فعلا,غير قابلة للفهم.

عندما انتهت نظرت إلي وهي ترفع كوب الليمون,كنوع من التحية.
أخبرتني :
"كانوا يجيدون رقص التانجو"
ابتسمتُ مجاملة.
أكملتْ:
"كانوا يكذبون أيضا"
و قبل أن ترحل..تركت لي ابتسامة واسعة معلقة في الهواء مكانها,و بقايا أحمر شفاه على الكوب الطويل.

لأنعزل أنا أيضا, و لتترك السيدة الأرستقراطية العجوز, المصابة بالزهايمر, و التي لم تعد تتذكر أكثر من عزف الأوتار,وحدها.
أنكمش في زاوية المقعدأعصر ذاكرتي المريضة في قاع الفنجان.
أتركها هناك.
فقط لتخرج من المكان و تكتشف أن باقي البن في فمك مر جداحتى أنه يذكرك بكل شيء.
ديف ماستين و جرعة الكافيين و ضغطي المرتفع.
في المرة القادمة,يجب أن تطلب من العامل قهوة خفيفة..
هذا أفضل كثيرا من تتبادل أختك سجائر الـLM الأزرق مع أمك,
في المطبخ.

قصة حب عادية

تلك الفتاة,التي تعبر الشارع كل يوم في طريقها إلى العمل,لا تعلم أنني أراقبها.
لا أعرف عنها الكثير.
فقط أعرف أنها تضع عطر (باكو روبان),و تثبت شعرها بدبوس خشبي, و تغلق النور في غرفتها,تبعثر رأسها و تبعث ببعض الفوضى في المكان,كي تكتب الشعر سرا.
تظل تهذي على الورق,و تلقي الكثير منه خلفها ممزقا.قبل أن تعود و تكتب - مرة أخرى- عن الغياب,و الرحيل, و غباء الرجال.
لا تعلم أنني أراقبها.
أنا الواقف تحت الإشارة,أدعي الهدوء.
لو وقعنا في العشق كانت لتصبح فرحانة جدا عندما أخبرها:أنت جميلة .
و في الحقيقة كنت سأخبرها أنها ليست جميلة إلى هذا الحد.
لكنها متقنة جدا,إلى الحد الذي يجعلك تبكي كل يوما عجزا.لأنك غير قادر على فض بكارتك.
حدث في مرة أن اقتربت منها في منتصف الشارع بينما تعبر الطريق,بنية سليمة تماما.
رأتني,فأغشي عليها.
حسن..
الشاب الذي يدخن الحشيش مساءا,و يتبادل الأفلام الإباحية مع صديقه على الرصيف المقابل و الذي كان يريد التقرب منها, نصب نفسه شرطيا للأخلاق, و ضربني كثيرا.
هو نفس الشاب الذي تعرف إليها بعد ذلك و أخذ رقم هاتفها المحمول, و هو نفس الشاب الذي تركته بعد بقليل, عندما لاحظت تهربه من حفلات ساقية الصاوي ليشاهد الكرة في المقهى.

***

" الشاعر العتيد,الذي كان يكتب كل قصائده عن الموت,مات فجأة,ليقتحم غرفته شعراء معادون,و أصدقاء,و نقاد عجائز,كي يبحثوا عن قصيدته الأخيرة(التي كانت تتحدث عن الموت أيضا)و عندما وجدوها قالوا:كان يتنبأ بموته "

ألم تكتب تلك الكلمة الساخرة في قصيدة لم تكتمل؟

ألم تقل أيضا أن العشاق فقط هم من يحملون كؤوسا صغيرة يضعون فيها دموعهم ,كي تستخدم في لحظات الفراق ؟

عشاق اليوم متبلدون.

ربما لهذا سقطت, عندما رأتني أتقدم نحوها بابتسامة خرقاء, و كأس صغير يماثل ذلك الذي تحتفظ به في الحقيبة.

الفتاة التي لم تعلم أنني أراقبها في الطريق إلى العمل,أصبحت تعرف.

كان خطأ كبيرا أن نقع في العشق.

كيف لها أن تحب فتى وجدته هكذا في عرض الشارع لا تريد أكثر من عناق دافئ بينما لا يريد سوى التقاط بعض المشاعر من الهواء قبل أن تختفي, ليكتب قصة جديدة؟

فأنا لست أكثر من رماد سيجارة ألقيت-جزافا-على رصيف مقهى بائس, أجلس فيه لأنه كذلك.

كما أنني أحلم مساءا عندما يؤلمني الأرق,

و أحلم بالصباح, عندما يزورني النوم.

كان خطأ كبيرا..

لكنها سارت كقصة حب عادية تبدأ بالعداء, و تنتهي بلحظة مصارحة حيث يجب أن تكون أنيقا و تقول:

"أنت متقنة,لكن.."

ثم أي ثغاء آخر...

***

عندما جنت..

لم يتغير الأمر كثيرا.

أصبحت تكتب بحرية أكبر, و قمت بتغيير مكاني ليواجه النافذة التي تجلس بجوارها لتنظر إلى الشوارع التي خطت فيها من قبل شاردة كشواهد القبور.

هل هي متعِبة جدا بالفعل؟

عملية الـ(فلاش باك) ؟

من قال أن شريط النيجاتيف أبيض اللون؟

آسف..

قصة حب عادية..تنتهي بلحظة مصارحة:

"أنا

يجب أن أكف عن أن أصبح شخصية أخرى

في قصص الآخرين"

ما حدث

لن أخبرك بما سيحدث غدا..

أنت تعيش في ماضيك.

تفكر أنه هنا كنت تشعر برغبة في القتل.في الإسكندرية شعرت برغبة في الانتحار.

أما في القاهرة..

لا أدري.

أنت تعيش في ماضيك..

و الحرب تشبه الاكتئاب.

كقبلة من الهة حب تسلب الحياة من شفتيك رويدا رويدا بينما تكون أحمق لا تستطيع الفكاك.

يخرج الأمر دائما عن السيطرةو تعود كما لم تكن:

لا آدمي..لا أنت..لا تدري.

لا تستطيع التحرك إلى الأمام,أو الخلف,أو الثبات مكانك..

أنت تزول.

كتلة حرجة تهتز في قلق حتى تأتي لحظة الخلاص الشخصي من العالم..

لماذا؟

دع الذعر للأحياء.

الرعب الحقيقي لم يكن أبدا في الظلام الدامس..بل إنه يبدو أكثر راحة من غيره.

الظلام يدعو إلى التأمل,و التأمل فناء.

أن تكون مذعورا لا يعني أنك ضحية ثملة تترنح بجوار مقبرة عتيقة في أطراف بنسلفانيا.الرعب هو أن تكون مصاص دماء و لا تدري إن كانت الضحية التي تقترب منها هي فان هلسنج أم شيء آخر.

لن أخبرك بما حدث..
كنت وقتها نائما, و عندما أنام أحلم دائما بعاهرات أحاول إقناعهن بالتخلي عن المهنة مقابل ليلة حمراء و زجاجة نبيذ, و لا أذكر كيف سارت الأمور بعد ذلك.
مرات قليلة فقط هي التي حلمت فيها بشيء مخالف.
حلمت - مثلا- في مرة بأنني مريض فصام, و ظلت أمي تخبرني أنني (محمود صلاح) و لست الشخص الذي أعرفه..الجميع يخبرني أنني لست أنا.
أم غير أمي, مكان غير المكان, و كل شيء واضح حتى أنه حقيقي.
أنا محمود صلاح نزيل مستشفى الأمراض العقلية الذي تغلب أخيرا على خيالاته و هلاوسه بأنه أنا..لذا كان يجب أن يخرج.
و عندما استيقظت من النوم اكتشفت أنني مازلت مريضا بي,و ظللت فترة طويلة أحاول التأكد ممن أكون.
أمن الممكن أن يكون ما أعيشه حلم فتى مختل بينما يكون واقعي في غرفة مستشفى كئيبة؟.
لم أتأكد بعد إن كنت أنا أنا.

في مرة-استثنائية أيضا- بدأ الحلم أنني خرجت من حلم آخر,و استيقظت لأجد نفسي في الحسين.
كنت أسير قلقا في خان الخليلي بين حوانيت العطارة و الآثار و السياح و الدراويش و الشيشة و روائح الكركم و الفلفل و الزيوت و ما ينتظرني في الطريق لمحته.
مرحى..
كم يصبح مستفزا عندما يريد أن يبدو كحامل أسرار خطير,بينما ترك له الرجل بجواره أذنه ليهمس بها مشحوذا.

يظن أنه يملك الحكمة.يرمقني بطرف عينه الخبيثة.ينتهي من الرجل ثم يدير لي ظهره البرتقالي.

أتركه..

بوذا يكون- في كثير من الأحيان- قليل التهذيب معي.

لكل منا بوذا الخاص به..لكن أشعر أن بوذا الخاص بي يخونني.

أنا عودته على ذلك..

كان حلم رجل مصاب بالأرق.

و الكلمة التي تصف تفكيرك في تلك اللحظة هي (ديجافو).لذا يبدو كل شيء متوترا و مهزوزا.يشبه الخطوط المضطربة المكرمشة التي تحيط بأبطال قصص الـ(الكوميكس) عندما يصيبهم القلق.

لن أخبرك بكل شيء.

أجفلت عندما اكتشفت أن تمثال (القط الأسود) في آخر محل للآثار كان قطا حقيقيا و ينظر إلي بأعين خضراء مرعبة تكاد تشع..

يتبعني لأصاب بالمزيد من البارانويا.

و ظل يتبعني حتى شارع المعز حيث لم يعد هناك أي شيء يشبه أي شيءلحظتها كان بجواري صديق لصديق لم أره سوى مرة واحدة في حياتي.يبدو باردا كقطعة أثاث مكلفة.

يده اليمنى فقط هي التي تتحرك في سرعة لتعبث بالميدالية الصغيرة فيها..صامت غريب الأطوار و تتسع عينيه الكبيرتان فجأة و كأنه يرى أشياء لا نراها.

بدا متماشيا جدا مع المكان..

قط,و سيجارة,و صديق غريب,و حانوت قديم صغير يعرض سيوفا بالية و حديدا صدئا و جرمافونا مكسورا في المقدمة لا بد أنه يعمل عندما تصمت المدينة.

المشهد مؤثر جدا,و كدت أن أبكي عندما أذن المؤذن فجأة لصلاة لا أدري ما هي بالضبط..

كان القط باردا يرمق من بعيد..

كان الصديق باردا يرمق من بعيد..

(شككت أنهما واحد)

إنها فرصة جيدة للانهيار..

تستيقظ.

***

لن أخبرك بما حدث..

في الحسين كانت الدنيا غير الدنيا..

جاءني طالبا النصيحة فأخفيت أذنه بيدي كي لا يستمع أحد.

أخبرته بما فيه النصيب.

يستمع بإخلاص فعلا.

عندما انتهيت لمحت شخصا آخر يقف في ثبات و ينظر لي في حقد.

تركته..

لكن الكلمة التي تصف تفكيرك في تلك اللحظة هي (ديجافو)..

لذا بعثت بقطي الصغير وراءه

***

ما حدث كان غريبا.

لم أظن أن الأمر مفيد..لكنني ذهبت بنصيحة من صديق.

قال : لا طائل من الحديث.

شعرت بالغباء.لكنني التزمت الصمت كنوع من الأدب أمامه.لكنه أردف بشيء من الاشمئزاز:

"رائحتك سيئة..يجب أن تستحم"

كتمت ضحكة سوداء.أعطاني صرة صغيرة.ألقيتها على قارعة الطريق عندما ابتعدت عن المكان.

أعيش في مدينة عمياء.

بكيت قليلا..ثم توجهت إلى قبري.

***

ثق أنني لن أخبرك بكل شيء..

بالمناسبة..

أنا لست إنسانا..

أنا مجرد مريض اكتئاب يخاف على نفسه من نفسه,و على أصدقاءه من أنفسهم,و يخاف أن يستمر في الخيانة,و يكتب.

مريض فصام مستقبلي..

و في أحسن الأحوال أكون مجرد ناقل لأحلامه حتى لا يصاب بالجنون و هو يعيد التفكير للمرة الألف إن كان هو هو أم (محمود صلاح).

لن أخبرك بما سيحدث غدا..

لن أخبرك بما حدث,أو ما يحدث فعلا.

أنا لا أعرف كل شيء..لكن كل ما أعرفه هو كل ما لن أخبرك به.

في خارج المكان كان صديق صديقي و صديقي نفسه يقفان معي في انتظار شيء ما.

و لكل واحد منا بوذا الخاص به.

أنا أشعر أن بوذا الخاص بي يخونني..

عندما سألتهم : "ماذا تنتظرون؟"

قالوا:"دقيقة حداد"

أجفلت قليلا..

ثم ارتفعت نصف متر إلى السماء لآخذ مقعدي في الحافلة..

(القط بالأسفل)

أفكر أنه هنا أشعر برغبة في القتل..

الكلمة التي تصف تفكيرك في تلك اللحظة هي (ديجافو)..

في الإسكندرية أشعر برغبة في الانتحار..

أما في القاهرة..

نسيت.

.....

(1)

كان يهذي,فلم أملك مقاومته..
عندما انتهينا من الهذيان تحركنا قليلا,
لنشرب بعض الجعة,
و ندخن سيجارتين..
لم نبك في تلك الليلة.

(2)

إنهم يتحدثون كثيرا
كثيرا بحق
لهذا فقدت تركيزي, و لم أعد أنتبه.

(3)

هذا الرجل
القصير إلى حد ما
ذو الظهر الأحدب
كان يشبهني جدا,
حتى أنني لم أتعرف عليه للوهلة الأولى, و هو يدفع الباب,
مسرعا إلى الداخل.

(7)

هل كان من الضروري جدا أن تقتلني بهذه الطريقة ؟
رغم أنك طفل صغير, و لا تجيد رشق السكين.
لكنك مغرم دائما, بقدرتك العجيبة على لمس الأسلاك العارية,دون أن تتأثر.
آه..
كم كنت أريد ميتة أخرى..
أقل بشاعة.

(5)

تنظر حولها في حذر
تدخل,تفتح علبة السجائر,
كليك!.
تنظر إلى الأشرطة السوداء, في الصور المعلقة على الحائط,
ثم تغلق باب المطبخ.

(6)

تلك الرعشة الخفيفة!..

أهي قرصة البرد القارس الكئيب؟

أم هي لذة الانتشاء باحتضان يدها أخيرا,و جعلها تخرج ابتسامة خافتة على وجهها الطويل الحاد, الذي ينزعج أحيانا؟

لكن بينما تنشغل بمحاولات التفسير تكون قد نسيت-تماما-أن تستمتع بالحالة.

(4)

ارقص بكل أريحية, ثم راقبهم و هم يتجاذبون أطراف الجذل إعجابا بحركاتك المضطربة و تأكد من أنك قد أحسست بالموسيقى إلى أقصى حد ممكن فقد تفقده كاملا بعد ذلك أنت الذي ستتحول إلى سفاح مريض..أيها الطفل المسكين.ها قد وافق أبوك أخيرا على أن تنزل الشارع,لتلعب الكرة.

(8)

قال :الحكيم يبحث عن الخير.

قال آخر : الحكيم يفعل الخير.

و عندما وصل الأمر إلى حد الشجار نظروا إلي

قلت إن الحكيم قد مات.

إهداء و شكر

- هذا الكتاب ليس مهدى إلى العائلة بأي حال من الأحوال,لكنني,كابن مهذب,أشكرهم بالطبع.

- إلى (عمر هشام),و (ياسر خاطر) ذلك الذي لم أره إلا مرة واحدة كانت كافية لأشعر الآن بوحشة الأصدقاء القدامى.

- إلى أشباح المدينة.

- إلى جودو.

- إلي,أنا الواقف تحت الإشارة..أدعي الهدوء.

pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla

pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla pla

pla pla

The author : Ahmed Jalal .

Contacts:

Mob.:0 106749440
E-mail: Ahmedjalal_90@yahoo.com